

الفصل الثاني

أنبياء القرون الأولى

- نوح .
- إبراهيم .

*

﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ (الصافات : ٧٩)

﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴾ (الصافات : ٨٣)

*

obeikandi.com

نوح

هو أبو البشرية الثانى ، الذى حمل فى فُلكه بذور الحياة فأنقذها بأمر الله من الطوفان . وتقول التوراة - أسفار موسى الخمسة التى تتصدر العهد القديم: « كان بنو نوح الذين خرجوا من الفُلك ساماً وحاماً ويافثاً . وحام هو أبو كنعان ... ومن هؤلاء تشعبت كل الأرض .

وابتداً نوح يكون فلاحاً وغرس كَرماً ، وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما وجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما . فلما استيقظ نوح من خمره ، عَلِمَ ما فعل به ابنه الصغير ، فقال : ملعون كنعان . عبد العبيد يكون لإخوته . وقال : مبارك الرب إله سام ، وليكن كنعان عبداً لهم . ليفتح الله لياث فيسكن فى مساكن سام ، وليكن كنعان عبداً له .

(تكوين ٩ : ١٨ - ٢٧)

من الواضح أن هذه أول بذرة لما يُعرف بـ « السامية » باعتبارها عرقاً جنسياً يتعالى عن بقية البشر ، ولو كانوا إخوة « أبناء أب واحد » . وإذا كان علماء اليوم على إدراك تام بأن الحديث عن السامية لا يعنى مدلولاً عرقياً ، وإنما يمكن أن يعطى مفهوماً لغوياً بمعنى أن الشعوب التى عاشت فى منطقة الشرق الأوسط تكلمت لغات بينها أواصر قرى ، وتُعرف بمجموعة اللغات السامية . وهذه تنقسم إلى عدة أسر هى :

أسرة اللغات الأكادية والبابلية والآشورية ، وأسرة اللغات الكنعانية ، وأسرة اللغات العربية ، وأسرة اللغات الحبشية .

وثمة تساؤل يلح عن الظلم الفادح الذى أصاب كنعان بسبب تصرف نُسب إلى أبيه حام ، إذ من الواضح أن كنعان برىء تماماً من كل خطية تُورثه اللعنة

والعبودية أو حتى ما هو أقل منهما بمراحل كاللوم والتقريع . وإذا كان هناك من يُدان فهو بلا شك شخص آخر غير كنعان وأبيه حام .

ومن المحزن حقاً أن يكون قصص الكتاب المقدس مصدر إلهام للمبشرين بالفرقة العنصرية وسنداً قويا يحتجون به . فلقد أصدرت مجلة « لايف » (١) عدداً خاصاً عن الكتاب المقدس ، جاء فيه :

« لا تزال حكومة جنوب إفريقيا تعتمد على ما جاء في سفر التكوين - الذى يصف أحد أبناء حام (وهو كنعان) بأنه عبد العبيد - لتبرير سيطرتها على السود وإذلالهم » (٢) .

هذا .. وتذكر لنا التوراة أن قصة نوح أمام الله لم تزد عن أنه حدث أن « رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم .

فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقتة . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنتُ أنى عملتهم . وأما نوح فوجد نعمة فى عينى الرب ... فقال الله لنوح : نهاية كل بشر قد أتت أمامى لأن الأرض امتلأت ظلماً منهم فيها أنا مهلكهم . اصنع لنفسك فلكاً » - (تكوين ٦ : ٥ - ١٤) .

✱

لكن القرآن الكريم يُعلّمنا أن نوحاً كان نبياً يُوحى إليه .

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ .

(النساء : ١٦٣)

LIFE, April 19, 1965 .

(١)

(٢) نقرأ النص الإنجليزي لهذه الفقرة الهامة كما يلي :

<<The government of South Africa, still relies on Genesis (Which describes a son of Ham as << a slave of slaves >> to justify its subordination of Negroes >>

وكان نوح رسولاً يدعو إلى التوحيد ، ويُحذّر من أهوال اليوم الآخر :

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنِّي لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف : ٥٩ - ٦٢) .

وكان نوح فطناً كيساً استخدم في دعوته كل لباقة وديبلوماسية تعين على ترويض ذوى الطباع الجامدة والقلوب المتحجرة . وفى تقرير منه يبين خطته فى مختلف مراحل الدعوة نقرأ قول الحق :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طَبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ (نوح : ٥ - ٢٠) .

وقد رأى عليّة القوم أن استجابة المستضعفين لدعوة نوح تعتبر سبباً كافياً لصددهم عنها :

﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدَائِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾ (هود : ٢٧) .

لقد كان الشرك وتعدد الآلهة سائداً في عهد نوح وكانت له كهنة ومرتزة ودجالون ، فقام هؤلاء بصرفون الناس عن دعوته : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً * وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ . (نوح : ٢١ - ٢٣) .

وحين بلغت دعوة نوح غايتها واستنفدت كل وسائل الإقناع ، لم يبق لقومه خيار فيما ينتظرهم من عقاب : ﴿ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * وَأَصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ، إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ .

(هود : ٣٦ - ٣٧)

إن هذا يتفق وعدل الله في خلقه ، ألا يهلك نفساً لم يأتها نذير : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَّهَاتِ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ، وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾ (القصص : ٥٩) .

لقد عاش نوح يجاهد في سبيل الله مئات السنين ، إلا أن حصيلة ذلك كله كانت عدداً ضئيلاً من المؤمنين : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (هود : ٤٠) .

ولقد استحق بجهاده الشاق وصبره الجميل ما أسبغ عليه من كرامة ونعماء ، ويكفي أن يقول الله فيه : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات : ٧٥ - ٨١) .

﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء : ٣) .

هكذا نرى نوح في القرآن العظيم : نبي عظيم ورسول ذو دعوة واسعة . من أجل ذلك كان إماماً يقتدى به الأنبياء والمرسلون علاوة على من دونهم من الناس ، وكان أول أولى العزم الذين قيل في شأنهم لخاتم الأنبياء والمرسلين : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف : ٣٥) .

* * *

إبراهيم

هو النبي الكريم أبو الأنبياء وأول حلقة فى سلسلة النبوة الإبراهيمية الطاهرة،
طار ذكره فى العالمين وصار يمثل الميراث المشترك بين أبنائه فى عقيدة التوحيد
من يهود ومسيحيين ومسلمين .

ويأتى أول ذكر لإبراهيم فى التوراة عند الحديث عن مولده وإخوة له من أبيه
تارح الذى بدأ إنجابهم على الكبر وعمره آنذاك سبعون عاماً .

لقد كان تارح يعيش مع قبيلته فى موطنهم الأسمى بمدينة أور بالعراق القديم
- وإذا به يقرر فجأة الذهاب إلى أرض كنعان (فلسطين) فيرتحل إليها عبر
طريق طويل ماراً بحران - مدينة القوافل - التى تقع حالياً بتركيا قرب الحدود
السورية ، وهناك يموت تارح .

وفى حران تلقى إبراهيم أمراً إلهياً بالذهاب إلى أرض كنعان « وكان إبرام ابن
خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران . فأخذ إبرام ساراى امرأته ولوطاً ابن أخيه
وكل مقتنياتهما التى اقتنيا والنفوس التى امتلكا فى حاران ، وخرجوا ليذهبوا
إلى أرض كنعان » (تكوين ١٢ : ٥) .

لقد صممت التوراة عن حياة إبراهيم السابقة وجهاده ، فلم يبدأ
ظهوره على مسرح الأحداث فيها إلا بعد أن شاخ وبلغ من العمر
خمسة وسبعين عاماً .

ثم جاء القرآن الكريم يقص علينا سيرة إبراهيم منذ اشتد عوده ،
ويركز على جهاده الذى بدأه مبكراً .

فلقد نشأ إبراهيم فى بيئة وثنية لم تتفق عقائدها وتقاليدها مع فطرته السليمة
ولذلك بدأ يتفكر فى خلق السموات والأرض . وكان أن هداه الله إلى الدين
الحق ، فبدأ رسالته بالدعوة إلى التوحيد وهو لا يزال فتى فى مطلع
شبابه ، وفى هذا يقول الحق :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ *

قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جَذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ *

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَتْنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ *

قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَتْنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكَسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ *

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ *

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ *

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿ (الأنبياء : ٥١ - ٧١) .

لقد كان السبب الرئيسي الذي من أجله ذهب إبراهيم من العراق إلى فلسطين ، هو الهجرة من أرض الوثنية والقهر إلى أرض تحفظ عليه دينه ونفسه .

﴿ فَاَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ، إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ .

(العنكبوت : ٢٦)

*

وبعد أن استقر إبراهيم بفلسطين « قالت ساراي لإبرام هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة ، ادخل على جاريتي .. فأخذت ساراي .. هاجر المصرية من بعد عشر سنين لإقامة إبرام فى أرض كنعان وأعطتها لإبرام .. زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت .. فولدت هاجر لإبرام ابناً .. إسماعيل . كان إبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل » (تكوين ١٦) .

وتتفق الكتب المقدسة على أن إبراهيم تعرّض بعد ذلك لامتحان إلهى صعب ، همّ فيه أن يذبح ابنه وحیده الذى رزقَ به على الكبر استجابة لوحى تعرّض له ، لكن رحمة الله تداركت الوالد الشيخ الفانى وابنه الوليد الصابر « فناداه ملاك الرب من السماء ..

فقال : لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً ، لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى » (تكوين ٢٢ : ١١ - ١٢) .

ولقد بيّنا فى موضع سابق^(١) بما لا يدع مجالاً للشك أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحق على عكس ما تقول به المصادر الإسرائيلية .

✱

ثم كان عهد الله لإبراهيم لما قارب عمره مائة عام ..

إذ « لما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام وقال له :

أنا الله القدير . سر أمامى وكن كاملاً ، فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيراً جداً ..

» نادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة .

وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية وكان ينمو رامى قوس .. وأخذت له أمه زوجة من مصر » (تكوين ٢١ : ١٧ - ٢١) .

(١) راجع كتاب « فلسطين بين الحقائق والأباطيل » للمؤلف - ص ٤٤ - ٥١ .

« هؤلاء هم بنو إسماعيل .. إثنا عشر رئيساً حسب قبائلهم . وهذه سنو حياة إسماعيل مئة وسبع وثلاثين سنة ، وأسلم روحه ومات وانضم إلى قومه . وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر حينما تجيء نحو آشور » .

(تكوين ٢٥ : ١٦ - ١٨)

ويذكر التلمود أن إبراهيم كان دائم التردد على ابنه إسماعيل في موطنه البعيد بالصحراء . فقد زاره مرة وكانت له زوجة قابلت حماها بجفاء فطلقتها إسماعيل . ولما زاره أبوه إبراهيم مرة أخرى بعد ثلاث سنوات كانت زوجته الثانية كريمة مع أبيه ، فسُرَّ بها إسماعيل واصطحبها لزيارة والده بفلسطين (١) .

✱

لقد كان لإبراهيم في الجزيرة العربية نشاط روحي عظيم ، بدأه مبكراً حين ارتحل إليها بابنه إسماعيل وأمه هاجر ، وأنزلهما مهبط الأمن والسكينة . هنالك دعا الله لأهله بالخير واستودعهم مَنْ لا تضيع عنده ودیعة ، ثم تركهم ورحل إلى حين .

وكان دعاء إبراهيم : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم : ٣٧) .

وما إن اشتد ساعد إسماعيل حتى كان له مع أبيه عمل خالد لا تزال تذكره الملايين الحاشدة من البشر عبر عشرات القرون . فنحن نعلم ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران : ٩٦) . ثم ما لبث أن تعرَّض هذا البيت العتيق لعاديات الزمن وبغى الأهل والمخلطاء ، فتصدع البناء وتدنس المكان بما صنعته يد الإنسان من إفاك وأضاليل . ثم كانت رحمة الله بالإنسانية حين تجدد البيت بناءً وشعائر على يد إبراهيم وابنه إسماعيل وفي هذا يقول الحق :

(١) المرجع السابق - ص ٤٧

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ *
وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ
فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (الحج : ٢٦ - ٢٧) .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ،
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَنَا أُمَّةً
مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا
وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُزَكِّيهِمْ ، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *
وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ، وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي
الدُّنْيَا ، وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ
أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (البقرة : ١٢٧ - ١٣١) .

* *

هذا هو إبراهيم ، الأب الروحي للمؤمنين بالله من اليهود والمسيحيين
والمسلمين وكلهم يرجو السلامة في دينه ونفسه كما سلم وكمل إبراهيم أمام الله
« القدير » رب العالمين . فدين إبراهيم هو الدين الحق ، على هذا يتفق
أصحاب هذه العقائد وكفى به جوهرًا يجتمعون عليه رغم ما هم فيه بعد ذلك من
خلاف عجيب .

فلقد كان أول وحى لموسى : « أنا إله أبوك إله إبراهيم ..
هكذا تقول لبنى إسرائيل إله آبائكم ، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب
أرسلنى إليكم » (خروج ٣ : ٦ ، ١٥) .

وفى محاوره بين المسيح واليهود كان قوله لهم عن إبراهيم ذى الدين الحق :
« أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله
يعقوب .. فلما سمع الجمع بهتوا من تعليمه » (متى ٢٢ : ٣١ - ٣٣) .

و « قال لهم يسوع : لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم .

ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلونى وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله إبراهيم . أنتم تعملون أعمال أبيكم .. أنتم من أب هو إبليس ، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . ذاك كان قتالاً للناس من البدء » .
(يوحنا ٨ : ٣٩ - ٤٤)

وأخيراً ، بعد أن طال الأمد على قلوب قست ونست حقيقة دين إبراهيم ، جاء محمد ليجدد البناء ويدعو إلى الله على بصيرة ، فيقيم بالحق دين إبراهيم :

﴿ قُلْ إِنِّى هَدَانِى رَبِّى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦١) .

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (النحل : ١٢٣) .

﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِىُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَاللَّهُ وَلِىُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٦٨) .

* * *